البيان المفيد

فى علم التوحيد

وهو مختصر شرح الخريدة للإمام الدردير

للصف الثالث الإعدادى الأزهرى

وفق المنهج المقرر

الدكتور أحمد حجازى السقا

الجزء الثالث

الناشر

المكتبة الأزهرية للتراث

٩ درب الأتراك - خلف الجامع الأزهر الشريف ت : ٥١٢٠٨٤٧

بسم الله الرحمن الرحيم

(وإلهكم إله واحد • لا إله الا هو • الرحمن الرحيم • أن فى خلق السموات والأرض • واختلاف الليل والنهار • والفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس • وما أنزل الله من السماء من ماء • فأحيا به الأرض بعد موتها • وبث فيها من كل دابة • وتصريف الرياح • والسحاب المسخر بين السماء والأرض • لآيات لقوم يعقلون) •

(البقرة ١٦٣ — ١٦٤)

المنهج المقرر للصف الثالث الاعدادى

درس واحد فى الأسبوع

أولا : الالهيات :

صفة القدرة ــ الارادة ــ العلم ــ الحياة ــ السمع ــ البصر ــ الكلام . مع بيان أضداد هــذه الصفات ، واقامة الدليل النقلى والعقلى فى اثبات كل صفة .

ثانياً : النبوات :

حاجة البشر الى الأنبياء والرسل ــ الواجب والجائز والمستحيل فى حق الأنبياء والرسل اجمالا وتفصيلا ــ معجزات الأنبياء والرسل ــ مع سرد بعض المعجزات الحســية للنبى صلى الله عليه وسلم ــ عموم رســالة محمد صلى الله عليه وسلم وبيان أنه خاتم النبيين .

ثالثاً : الســمعيات :

سؤال القبر ــ نعيم القبر أو عذابه ــ النشر والحشر ــ الصراط ــ الميزان ــ الحساب والثواب والعقاب ــ الجنة والنار ــ الملائكة والجن .

التقديم للكتـــاب

بســم الله الرحمن الرحيم

الحمـــد لله رب العالمين ، والصـــلاة والســـلام على خاتم النبيين والمرسلين ، وعلى آله وأصحابه ، والتابعين لهم بخير الى يوم الدين •

وبعـــــد :

فقد نظم الامام الشيخ أبو البركات أحمد الدردير ، قصيدة خريدة فى علم التوحيد ، وشرحها • وسمى شرحه كتاب « شرح الخريدة فى علم التوحيد » والخريدة هى اللؤلؤة الغالية الثمن ، التى لم تثقب • وقد وصفها بقوله :

لطيفة • صغيرة فى الحجم لكنهـــا كبيرة فى العـــلم
تكفيك علماً • أن ترد أن تكتفى لأنهـــا بزبدة الفـــن تـــفى

وقد اختارت الادارة العامة للمعاهد الأزهرية • هذا الشرح لطلاب السنة الثانية والثالثة من القسم الاعدادى • والمقرر على السنة الثالثة من هذا الشرح هو الالهيات والنبوات والسمعيات • ولأن الشرح يصعب على طلاب هذا الزمان ، وضعنا هذا الكتاب بأسلوب ســـهل •

ونشكر صاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ محمود مصطفى بدوى مدير منطقة المنصورة الأزهرية سابقاً ، على تفضله بالمراجعة وحسن التوجيه •

والله نسأل أن يوفقنا لخدمة العلم والدين ؟

د/احمد حجازى السقا

الإلهيـــات

تمهيـد :

خالق هذا العالم المحسوس ، هو الله تعالى ، وهو موجود وقادر ومريد وعالم وحى ومتكلم • و « ليس كمثله شيء • وهو السـميع البصير • « له مقاليد السموات والأرض » ويتصف بكل كمال ، ويتنزه عن كل نقص لا يليق بذاته المقدسـة •

وهل صفات الله تعالى زائدة على ذاته المقدسـة ، أم هى قائمة بالذات غير زائدة ؟ يقول الأشاعرة : أنها زائدة على الذات ، وليست منفكة عنها • وحجتهم العقلية : هى أن زيداً من الناس ، لو تعلم العلم ، وصفه الناس بالعلم ، واذا لم يتعلمه ، لم يصفه الناس به • فاذن العلم غير زيد • فاذن الصفة غير الموصوف • ومع اتصافه بالعلم ، لا يقول الناس : أن زيداً وعلمه اثنان منفصلان ، بل يقولون : انسان واحد متصف بالعلم • وحجتهم النقلية : هى قوله تعالى : « أنزله بعلمه » ولم يقل أنزله بذاته • فدل على أن صفة العلم شيء ، والذات شيء آخر •

والعلم صـفة معنى • وصـفة المعنى هى المعنى الوجودى القائم بالموصوف • وصفات المعانى سبع : وهى القـدرة والارادة والحياة والسمع والبصر والكلام • وهى صفات قديمة قدم ذات الله تعـالى • والامام الأشعرى يثبت لله تعالى ثلاث عشرة صـفة ، يثبت : الوجود والقدم والبقاء والمخالفة للحوادث والقيام بالنفس والوحدانية • ويثبت صفات المعانى السبع • والشيخ أحمد الدرديرى يوافق الامام الأشعرى فى الصفات •

أما الامام فخر الدين الرازى ، محمد بن عمر ، فانه يضيف سبع صفات على الثلاث عشرة ، يسميها بالصفات المعنوية ، وهى : كونه قادرا وكونه مريداً وكونه عالماً وكونه حياً وكونه سمعياً وكونه بصيراً وكونه متكلماً .

قال الناظم :

ثم المعانى سبعة للرائى	أى : علمه المحيط بالأشياء
حياته ، وقدرة ، ارادة	وكل شىء كائن أراده
وأن يكن بضده قد أمرا	فالقصد غير الأمر فاطرح المرا
فقد علمت أربعا أقساما	فى الكائنات . فاحفظ المقاما
كلامه ، والسمع والأبصار	فهو الإله الفاعل المختار

الشرح والبيان :

المعانى : هى الصفات الوجودية . أى التى لها وجود فى نفسها ، قديسة كانت أو حادثة كعلمه وقدرته تعالى ، وكعلمنا وقدرتنا ، وكالبياض والسواد .

للرائى : أى للناظر المتأمل .

علمه المحيط بالأشياء : أى صفة العلم الأزلية القديمة التى تنكشف بها الموجودات والمعدومات على ما هى عليه ، انكشافا تاما . وهى محيطة بالأشياء كلها واجبها وجائزها ومستحيلها .

حياته : أى صفة الحياة لله تعالى . وهى صفة أزلية ، توجب صحة العلم والارادة .

وقدرة : وهى صفة أزلية لله تعالى يتأتى بها ايجاد الممكن واعدامه .

وارادة : وهى صفة أزلية لله تعالى تخصص الممكن ببعض ما يجوز عليه من وجود أو عدم ومقدار وزمان ومكان وجهة .

وضد هذه الصفات : الجهل . والموت . والعجز . وعدم قصد الى شيء . والمتصف بأضدادها ، ولا يمكنه أن يخلق شيئا من العالم ، البديع الاتقان .

وكل شيء كائن أراده : المراد بالكائن : الموجود . أى كل ما يوجد فى العالم من خير أو شر هو من الله تعالى . واذا أمر المكلف بفعل الحلال وترك الحرام ، وعصى المكلف الأمر : وفعل الحرام وترك الحلال . فانه ما فعل وترك الا ما قدره الله وأراده . اذ لا يقع فى ملك الله الا ما يريد .

فالقصد غير الأمر : القصد هو الارادة . والارادة غير الأمر .

ومثال ذلك : أن الله أمر « أبا جهل » لعنه الله بالايمان ، ومع ذلك قدر عليه فى الأزل أن لا يؤمن ، وهو لا يريد الكفر منه ولا من غيره . فالأمر هنا قد اختلف عن الارادة . وقد تكون الارادة متوافقة مع الأمر : كالايمان من « أبى بكر » رضى الله عنه والمؤمنين ، فانه أراده وأمر به .

فاطرح المرا : أى اترك الجدال والنزاع الباطل . وهو يشير بذلك الى المعتزلة الذين يقولون : ان الارادة والأمر متحدان . يقول المؤلف : « المراء هو الجدال والنزاع الباطل من المعتزله ، الذاهبين الى أنه تعالى يقع فى ملكه ما لا يريد ، بناء على اتحاد الارادة والأمر . وهو تعالى لا يأمر بالفحشاء . فلا يريد القبائح . كالكفر والمعاصى ، والالزم أنه يأمر بها . وهو باطل . وحينئذ فهو تعالى لم يرد من الفاسق الا ايمانه وطاعته ، لا كفره ومعصيته . قالوا : ولأن ارادة القبيح ، قبيحة ، كخلقه وايجاده . فعندهم أكثر ما يقع من أفعال العباد ليس بارادة الله . لا بخلقه وايجاده . وانما هى بمراد العبد وايجاده » .

وقد رد عليهم المؤلف بقوله : « ونحن نمنع اتحاد الارادة والأمر . بدليل : ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن . والقبيح انما هو كسب القبائح والاتصاف بها ، لاخلقها وارادتها » .

فقد علمت اربعا اقساما :

١ ــ مأمور به ومراد ، كايمان أبى بكر ٠ ٢ ــ غير مأمور به وغير مراد ، كالكفر من أبى بكر ٠ ٣ ــ مأمور به وغير مراد ، كالايمان من أبى جهل ٠ ٤ ــ غير مأمور به وغير مراد ، ككفر أبى جهل ٠

كلامه : أى كلام الله تعالى ، وهو صفة نفسية ، ليست بحرف ولا صوت تدل على جميع المعلومات ٠

والسمع والابصار : السمع والبصر صفتان أزليتان ، ينكشف بهما جميــع الموجودات انكشافا تاما ٠ والانكشاف بهما يغاير الانكشاف بالعلم ، كما أن الانكشاف بأحداهما يغاير الانكشاف بالأخرى ٠

فهو الإله الفاعل المختار : أى الذى ان شاء فعل وان شاء ترك ٠ لقوله تعالى : « وربك يخلق ما يشاء ويختار » ٠

الكلام فى صفة الإدراك

وقد اختلف علماء علم الكلام فى صفة الادراك لله تعالى ٠ هل هى زائدة على العلم والسمع والبصر ، ليدرك بها الملموسات ، والمشمومات والمذوقات ، من غير اتصــال بمحالها ولا مماسة ولا تكيف بكيفياتها ٠ أم ليست بزائدة ، فلا تثبت له ؟ فالقاضى أبو بكر بن الباقلانى ، وامام الحرمين الجوينى ، ومن وافقهما : أثبتوها لله تعالى ٠ ومنعها آخرون من علماء علم الكلام ٠ وتوقف الامام الدردير ، فلم يثبتها اذ لم يثبتها الله لنفسه ، كما أثبت القدرة وغيرها ٠

الصفات المعنوية

ويقول المؤلف : ولم أذكر الصفات المعنوية اللازمة للسبع المعانى ٠ وهى كونه تعالى عالمــا وكونه تعالى قادرا ٠٠ الخ : لأنها ليست بزائدة

على صفات المعاني ، بل هي عبارة عن قيام المعنى بالذات[1] .

قال الناظم :

وواجب تعليق ذي الصفات حتما دواما . ما عدا الحياة
فالعلم ـ جزما ـ والكلام السامى تعلقا بسائر الأقسام
وقدرة ، ارادة ، تعلقا بالممكنات كلها . أخا التقى
واجزم : بأن سمعه والبصرا تعلقا بكل موجود يرى

الشرح والبيان :

تعلق الصفة : هو اقتضاؤه أمرا زائدا على قيامها بالذات ، كاقتضاء العلم معلوما ينكشف به ، واقتضاء الارادة مرادا تتخصص بها ، واقتضاء القدرة مقدورا . وهكذا . فالقدرة ـ مثلا ـ صفة قائمة بذاته تعالى .

---

(١) المتكلمون اختلفوا في الصفات المعنوية . هل هي صفات زائدة على صفات المعاني أو ليست بزائدة عليها ؟ فالامام الأشعري يرى أنها ليست بصفات زائدة على المعاني وانه لا وجود لها من خارج الأعيان ولا في خارج الأذهان . بل هي أمور اعتبارية ولا وجود لها الا في الذهن ومعنى كون الله قادرا : اتصاف الله بالقدرة او قيام القدرة بذاته ـ تعالى ـ فليس هناك الا الذات والقدرة والإرادة وهكذا . وهذا بناء على مذهبه من ان الامور قسمان : موجود في الخارج ومعدوم ولا واسطة بينهما . فالموجود ما له تحقق في الخارج والمعدوم ما لا وجود له الا في الذهن فقط عند ادراكه وتعقله وعند الحكم عليه أو له ، وعند انصراف الذهن عنه يزول وجوده الذهني ، وعلى هذا فالواجب لله تفصيلا ثلاث عشرة صفة وجرى على هذا ناظم الخريدة لأنه أشعري .

وذهب آخرون منهم « الرازي » الى أن الصفات المعنوية زائدة على صفات المعاني وانها ثابتة في نفسها بقطع النظر عن الاعتبار والذهن وانها واسطة بين الموجود والمعدوم ، وعلى مذهبهم تكون الصفات الواجبة لله عشرون صفة ، وهذا بناء على مذهبهم من ان الامور ثلاثة : موجود ومعدوم وواسطة ، وهو المسمى بالحال فالموجود من له تحقق في الخارج ، والمعدوم ما لا وجود له ، الا في الذهن فقط عند ادراكه . والحال ما له وجود في نفسه وليس له وجود في الخارج . وعلى هذا فالمعنوية أحوال وهي صفات لها وجود في نفسها ولا ترى . وصفات المعاني موجودة ويصح أن ترى وعلى القول بثبوت المعنوية فلا تتعلق بشيء لأنها أحوال والتعلق حال فلو تعلقت لزم قيام الحال بالحال وهو باطل .

وتقتضى « مقدورا » أى شيئا ، تؤثر فيه الوجود أو العدم . فهى متعلقة بذلك المقدور وذلك المقدور هو متعلق لها . وتعلقها به معناه : أنها تقتضيه ، لتؤثر فيه الوجود أو العدم . والصفة التى لا تتعلق هى التى لا تطلب ولا تقتضى أمرا زائدا على قيامها بموصوفها ، كصفة الحياة لله عز وجل . وهى الصفة الوحيدة التى لا تعلق لها من صفات المعانى السبع .

والصفات التى لها تعلق هى : العلم والكلام والقدرة ، والارادة والسمع والبصر .

١ — تعلق العلم : تتعلق صفة العلم بجميع الواجبات والمستحيلات والممكنات ، تعلق انكشاف . ولصفة العلم تعلق يسمى بالتعلق التنجيزى القديم . وهو تعلق العلم أزلا بالواجبات والمستحيلات والممكنات ، تعلق احاطة وانكشاف دون سبق خفاء أو جهل .

٢ — تعلق الكلام : كلام البشر بحروف وأصوات . أما كلام الله تعالى فهو كلام بلا حرف ولا صوت . ويسمى بالكلام النفسى . والكلام النفسى مشار اليه فى القرآن الكريم بقوله تعالى . « ويقولون فى أنفسهم » وما كانوا قد نطقوا بحرف ولا بصوت . وصفة الكلام تتعلق بجميع الواجبات والمستحيلات والممكنات ، تعلق دلالة وافهام . ولصفة تعلق واحد هو « تنجيزى قديم » وهو تعلق الكلام فى الأزل بجميع الواجبات والمستحيلات والممكنات ، تعلق دلالة وافهام .

٣ — تعلق القدرة : الموجودات : أما واجب واما مستحيل . واما أمر بين الواجب والمستحيل . وهو الجائز . ويسمى الممكن . فالواجب لا تتعلق به القدرة . لأن حقيقة الواجب هى الموجود الذى لا أول لوجوده » وواجب الوجود . وهو الله تعالى ، لا تتعلق القدرة بايجاده ، لأنه موجود . والمستحيل هو الذى لا أول لعدمه ولا يقبل

الوجود أصلا . ولا تتعلق به القدرة . أما الممكن أن يوجد وأن لا يوجد، فهي الذى تتعلق به القدرة ، لتوجده ، أو لا لتوجده .

ولقدرة الله تعالى بالممكن (أ) تعلق « صلوحى قديم » وهو صلاحية القدرة فى الأزال للايجاد وللاعدام فى ما لا يزال ، أى من مبدء وجود المخلوقات الى ما لا نهاية له . (ب) وتعلق « تنجيزى حادث » وهو ايجاد القدرة للشيء الممكن أن يكون أو لا يكون . أو اعدام القدرة لهذا الشيء فيما لا يزال ، والتعبير بلا يزال يفيد الاستمرار . فالله قادر فى كل وقت على كل شيء

٤ ــ **تعلق الإرادة :** ارادة الله تتعلق بالممكنات ، لأنها صفة ترجح وجود الشيء على عدمه . أو عدمه على وجوده . ومثل ذلك ــ ولله المثل الأعلى ــ مثل الهارب من السبع اذا ظهر له طريقان ، لابد له من الجرى فى أحدهما ، فانه اذا جرى فيه ، يجرى فيه لأنه رجحه على غـيره . وكذلك الجائع اذا قدم له رغيفان ، وألزم بأحدهما . فانه يختار أحدهما لمرجح ظهر له فى نفسه فالارادة صفة ترجيح لايجاد الشيء أو لئلا يوجد .

وهى لا تتعلق بالواجب ، لأن ذات الواجب مقتضية للوجود ومنافية للعـدم . ولا تتعلق بالمستحيل ، لأن ذات المستحيل مقتضية للعـدم ومنافية للوجود .

وللارادة تعلقان : (أ) صلوحى قديم . وهو صلاحية الارادة فى الأزل . والأزل هو ما قبل وجود المخلوقات ، حين كان الله تعالى ولا شيء معه . وينتهى الأزل بوجود أول مخلوق . صلاحيتها لتخصيص كل ممكن بأى أمر من الأمور المتقابلة الجائزة عليه : (ب) تنجيزى قديم . وهو تخصيص الارادة فى الأزل[1] كل ممكن ، ببعض ما يجوز عليـه ، بدل البعض الآخر .

(1) لمـاذا لم يجعل للارادة تنجيزيا كالقدرة ؟ لانه لا يخالف المعتزلة فى قولهم : ان العبد يخلق أفعاله . ولم تكن مخلوقة ومقدرة عليـه من قبل ولادته .

٥ ، ٦ تعلق السمع والبصر : الله يسمع ويرى . وسمعه وبصره ، يتعلقان بالموجودات . ولا يتعلقان بالمعدومات ولا بالممكنات التى قد توجد ولا توجد . ولهما تعلقات ثلاثة (أ) صلوحى قديم . وهو صلاحية السمع والبصر فى الأزل ، للتعلق بما سيوجد من الممكنات (ب) تنجيزى قديم . وهو تعلقهما أزلا بذات الله وصفاته ، تعلق انكشاف (جـ) تنجيزى حادث . وهو تعلقهما فعلا بالممكنات بعد وجودها ، وتعلق احاطة وانكشاف .

وكل الأشياء التي علم الله تعالى فى الأزل أنها ستكون ، قد رجحت الارادة فى الأزل وجودها فيما لا يزال . والناس لا ينشئون أعمالهم باراداتهم أنفسهم ، بل بارادة الله الأزلية . لأن جميع الممكنات التى علم الله تعالى فى الأزل أنها ستكون ، قد رجحت فى الأزل ، صفة الارادة وجودها فى ما لا يزال ، وفى الوقت الذى حدده الله لايجاد الفعل فيه ، توجده القدرة ، على وفق تعلق صفتى الارادة والعلم . وعلى ذلك فجميع الكائنات تكون واقعة بقدرة الله وارادته ، سواء كانت خيرا أو شرا ، أو طاعة أو معصية . وهذا هو مذهب أهل السنة والجماعة[١] . لقوله تعالى : « ان الله يفعل ما يريد » ولقوله تعالى : « وربك يخلق ما يشاء ويختار » ولقول النبى صلى الله عليه وسلم : (ما شاء الله كان ، وما لم يشأ لم يكن) .

الجائزة والمستحيل على الله تعالى

قال الناظم :

ويستحيل ضد ما تقدما ... من الصفات الشامخات ، فاعلما
لأنه لو لم يكن بها موصوفا ... لكان بالسوى معروفا
وكل من قام به سواها ... فهو الذى فى الفقر قد تناهى
والواحد المعبود لا يفتقر ... لغيره . جل الغنى المقتدر
وجائز فى حقه الايجاد ... والترك والأشقاء والاسعاد

---

(١) المعتزلة يقولون : ان الله خلق الانسان حرا : ولم يقدر عليه أى شىء فى الأزل . وسيأتى توضيح مذهبهم فى مقرر السنوات القادمة . بإذن الله تعالى .

الشرح والبيان :

ان اجتماع الحركة والسكون فى محل واحد ، وكذلك البياض والسواد من المستحيل حدوثه فى العقل • فالمستحيل عقلا : هو المعدوم الذى لا يقبل الثبوت أصلا ، لذاته • والله تعالى يستحيل عليه أضداد الصفات الكريمة اللائقة بذاته المقدسة • فيستحيل عليه العجز ، لأنه موصوف بالقدرة • والعجز والقدرة ضدان لا يجتمعان • ويستحيل عليه الجهل ، لأنه موصوف بالعلم • والجهل والعلم ضدان لا يجتمعان • وهكذا فى سائر الصفات • اذ كل صفة وجبت لموصوف ، يستحيل ضدها على ذلك الموصوف •

وقوله : « ويستحيل ضد ما تقدما من الصفات » معناه : أن الله تعالى متصف بثلاث عشرة صفة : وهى : ١ ـ الوجود • ٢ ـ والقدم • ٣ ـ والبقاء • ٤ ـ والمخالفة للحوادث • ٥ ـ والقيام بالنفس • ٦ ـ والوحدانية • ٨ ـ والارادة • ٩ ـ والعلم • ١٠ ـ والحياة • ١١ ـ والسمع • ١٢ ـ والبصر • ١٣ ـ والكلام النفسى •

ويستحيل على الله تعالى أضداد هذه الصفات • فيستحيل عليه : ١ ـ العدم • ٢ ـ الحدوث • ٣ ـ الفناء • ٤ ـ المماثلة للحوادث • ٥ ـ عدم القيام بالنفس • ٦ ـ التعدد • ٧ ـ العجز • ٨ ـ الكراهية • ٩ ـ الجهل • ١٠ ـ الموت • ١١ ـ الصمم • ١٢ ـ العمى • ١٣ ـ البكم •

وقوله :

لأنه لو لم يكن بها موصوفا لكان بالسوى »

ومعناه : لو لم يتصف الله تعالى بكل صفة من الصفات الثلاث عشرة ، لكان بالسوى • أى بسواها من الجهل والعجز وغيرهما من

أضداد الصفات موصوفا بها . واتصافه تعالى بأضدادها باطل ، لما يلزم عليه من الافتقار والحدوث . اذ كل من قام به صفة عجز كالجهل وشبهه ، فانه يكون مفتقرا الى غيره ، والمفتقر محتاج الى من يكمله . ومن يحتاج الى غيره ، لا يكون الها خالقا للعالم .

وأشار بقوله :

وجائز في حقه الايجاد والترك والاشقاء والاسعاد

الى أن الله تعالى يجوز عليه أن يوجد الممكنات ، سواء وجدت بالفعل أو لم توجد . ويجوز عليه أن يترك أشياء فلا يوجدها . كاثابة المطيع وتعذيب العاصى . فله أن يفعل ، وأن لا يفعل . ويجوز عليه أن يشقى ويسعد . والاشقاء هو خلق قدرة الكفر ، أو خلق الكفر فى العبد — والعياذ بالله تعالى — ويسمى الخذلان والاضلال . وقيده « الأشعرى » بحالة الموت . وأطلقه « الماتريدى » فالشقى من مات على الكفر ، والسعيد من مات على الايمان . عند الأشعرى . والشقى عند الماتريدى هو الكافر ، والسعيد عنده هو المؤمن .

فالجائز على الله تعالى : فعل كل ممكن وتركه .

والدليل العقلى على أنه يجوز على الله فعل كل ممكن وتركه : هو أنه قد وجب اتصافه بالحياة والقدرة والارادة والعلم والوحدانية ، فثبت له الاختيار المطلق في جميع شئونه ، ومن يثبت له الاختيار ، يجوز منه الفعل لكل ممكن .

والدليل النقلى : قوله تعالى : « وربك يخلق ما يشاء ويختار » وقول النبى صلى الله عليه وسلم : « ما شاء الله كان ، وما لم يشاء لم يكن » .

الصلاح والأصلح

قال الناظم :

ومن يقل فعل الصلاح وجبا على الاله . فقد أساء الأدبا

الشرح والبيـــان :

الصلاح والفساد ضدان

واذا كان فى العالم أمران أحدهما صلاح والآخر فساد . يقول المعتزلة[1] يجب على الله تعالى فعل الصلاح وترك الفســاد لأنه كمال والكمال مناسب لله . وأهل السنة يقولون : لا يجب على الله شىء . فانه « لا يسأل عما يفعل » .

رؤية الله تعالى

قال الناظم :

واجزم أخى برؤية الاله فى جنة الخلد بلا تناهى
اذ الوقوع جائز بالعقـل وقد أتى فيه دليل النقل

---

(١) جماعة من علماء المسلمين اعتزلوا الحرب بين على ومعاوية ــ رضى الله عنهما ــ وعكفوا على تأليف الكتب فى تفسير القرآن ــ من وجهة نظرهم ــ وبيان أحكامه ، والرد على أعداء الإسلام من أهل الكتاب وغيرهم . ولهم أصول خمسة . لم يوافقهم أهل السنة على بعضها .
هكذا قيل فى سبب تسميتهم . وقيل أيضا : أن سبب التسمية هو ان واصــل بن عطاء اعتزل عن مجلس الحسن البصرى ، ليقرر أن المســـلم العاصى ليس بمؤمن ولا كافر . أى فى منزلة بين المنزلتين . أى هو فاسق (شرح الخريدة ص ٤٤) .

الشرح والبيان :

قوله : اجزم : معنـــاه : اقطع واعتقد • والمراد بالأخ : الأخ فى الاسلام • اذ الأب الذى خرجنا بسببه من ظلمة الكفر الى نور الايمان واحد • وهو النبى صلى الله عليـــه وسلم برؤية الاله : سبحانه وتعالى • أى بوقوعها ، بمعنى الانكشاف التام بالبصر • بلا تناهى للمرئى تعالى •

أى من غير احاطة بحدود المرئى ونهاياته ، لاستحالة الحدود والنهايات عليه ، فكما أنهم يعلمونه بلا حد ونهاية ، وبلا كيف • يرونه • كذلك • فيرى لا فى مكان ولا فى جهة ولا باتصال شعاع ، ولا على مسافة بينه تعالى وبين الرائى •

والدليل العقلى على جواز وقوع الرؤية : أن الله موجود ، وكل موجود يجوز أن يرى •

والدليل النقلى : قوله تعالى حكاية عن موسى عليه السلام « رب أرنى أنظر اليك » ولو كانت الرؤية ممتنعة ، ما سألها موسى وهو نبى • وقول الله تعالى : « للذين أحسنوا : الحسنى ، وزيادة » فالحسنى هى الجنة جزاء احسانهم • فتكون الزيادة هى رؤية الله تعالى[1] •

وبعد فرغنا من شرح أبيات الناظم عن صفات الله تعالى بايجاز ، نذكر صـــفات المعانى على حدة ونوضـــحها ونقيم الأدلة على وجوبها لله تعالى •

١ ــ القـــدرة

قدرة الله تعالى : صفة وجودية أزلية قائمة بذاته تعالى ، يتأتى بها ايجاد الممكن واعدامه ، على وفق علمه تعالى وارادته •

---

(١) المعتزلة منعوا الرؤية لاستلزامها الجهة والمكان لله عز وجل .

والدليل العقلى على وجوب القدرة لله تعالى : أنه هو الخالق لجميع الكائنات . وكل خالق قادر .

والدليل النقلى على وجوب القدرة لله تعالى : قوله تعالى : « ان الله على كل شيء قـدير » وقوله تعالى : « أفلا ينظرون الى الابل كيف خلقت ؟ والى السـماء كيف رفعت ؟ والى الجبال كيف نصبت ؟ والى الأرض كيف سطحت » ؟ .

٢ ـ الإرادة

ارادة الله تعالى : صفة وجودية أزلية ، قائمة بذاته تعالى ، تخصص الممكن ببعض . ما يجوز عليه من الأمور المتقابلة . فارادة الله توجد العلم بدل الجهل ، وهكذا فى سائر الممكنات .

والدليل العقلى على وجود الارادة لله : أنه لو لم يكن مريدا لجميع الممكنات التى كانت والتى ستكون ، لكان مكرها على ايجادها ، والمكره على ايجاد الشيء ، لا يكون متمكنا من الفعل والترك . فيكون عاجزا . وحيث أن الكائنات موجودة ، وتدل على خالق قادر . أوجدها . فاذن الله تعالى الذى أوجدها مريد وقادر .

والدليل النقلى على وجوب الارادة لله : قوله تعالى : « وربك يخلق ما يشاء ويختار » وقوله تعالى : « فعال لمـا يريد » .

٣ ـ العـلم

علم الله تعالى صـفة وجودية أزلية قائمـة بذاته تعالى ، تتعلق بالواجبات والمستحيلات والجائزات ، تعلق احاطة وانكشـاف ، دون سـبق خفاء .

والدليل العقلى على وجوب العلم لله : هو أن العالم العجيب الصنع ،

والمحكم الاتقان يدل على أن خالقه عالم بكل شيء • اذ لا يصدر الفعل المحكم المتقن من جاهل به •

والدليل النقلى على وجوب العلم لله : قوله تعالى : « صنع الله الذى أتقن كل شيء انه خبير بما تفعلون » •

٤ ـ الحياة

حياة الله تعالى صفة وجودية قائمة بذاته تعالى تقتضى صحة اتصافه بنحو الارادة والعلم وسائر الصفات • اذ الارادة والعلم وغيرهما لا يوجدان الا من حى •

والدليل العقلى على وجوب صفة الحياة لله تعالى : أن الله متصف بالارادة والعلم وسائر الصفات • ولا يتصف بهذه الصفات ، الا من اتصف بالحياة • فاذن الله حى •

والدليل النقلى على وجوب صفة الحياة لله : قوله تعالى : « وعنت الوجوه للحى القيوم • وقد خاب من حمل ظلما » وقوله تعالى : « الله لا اله الا هو • الحى القيوم » •

٥ ـ السمع

سمع الله صفة وجودية قديمة قائمة بذاته تعالى • يتأتى بها انكشاف جميع الموجودات انكشافا تاما ، يغاير الانكشاف بصفتى العلم والبصر •
والدليل العقلى على وجوب صفة السمع لله تعالى . أنه لو لم يتصف الله تعالى بالسمع ـ والسمع صفة كمال ـ لاتصف بضده • وهو الصسم ـ والصمم صفة نقص ـ والنقص مستحيل على الله ، والكمال واجب له•
والدليل النقلى : قوله تعالى : « ان الله سميع بصير » وقوله لموسى وهارون : « لا تخافا • اننى معكما أسمع وأرى » •

٦ ــ البصر

صفة البصر صفة وجودية أزلية قائمة بذات الله تعالى ، يتأتى بها انكشاف جميع الموجودات ، انكشافا تاما ، يغاير الانكشاف بصفتى العلم والسمع .

والدليل العقلى على وجود صفة البصر لله تعالى : أن العمى الذى هو ضد البصر نقص ، ولو اتصف الله به ، لما صار الله كاملا ومدبرا لشئون العالم . ولأن العالم محكم ، فاذن خالقه بصير .

والدليل النقلى على وجوب صفة البصر لله تعالى : قوله : « ان الله سميع بصير » وقوله : « وكان الله بما تعملون بصيرا » .

٧ ــ الكلام النفسى

كلام الله صفة وجودية أزلية ، قائمة بذاته تعالى ، ليست بحرف ولا صوت . منزهة عن التقديم والتأخير والترتيب . تدل على جميع الواجبات والمستحيلات والجائزات . ومعنى أنها ليست بحرف ولا صوت: أن الله لا ينطق بفمه ، لأن الله ليس جسما لقوله تعالى : « ليس كمثله شيء » وقوله : « هل تعلم له سميا » أى مثلا . ولقوله : « ولم يكن له كفوا أحد » أى مثلا وشبيها . وكذلك سمع الله وبصره لا يسمع بأذن ولا يبصر بعين كآذان الناس وأعينهم . لأنه منزه عن الجسمية . وقوله تعالى عن سفينة نوح عليه السلام : « تجرى بأعيننا » معناه : جرت بعنايتنا ورعايتنا . وقوله تعالى : « يد الله فوق أيديهم » لا يدل على يد حقيقية . بل اليد كناية عن القدرة . أى قدرة الله فوق قدرة الناس .

والكلام النفسى يدل على أن الله واحد وموصوف بكل كماله ومنزه عن كل نقص ، ويدل على الأمر بالشرائع ، والاخبار بما كان وبما سيكون .

والدليل العقلى على وجوب صفة الكلام النفسى لله تعالى : أنه لو لم يتصف بها ، لاتصف بالبكم . وهو نقص . يتنزه عنه الاله جل جلاله .

والدليل النقلى على وجوب صفة الكلام النفسى لله تعالى : قوله تعالى : « وكلم الله موسى تكليما » .

أسـئلة

١ ـ ما معنى الذات ؟ وما معنى الصـفه ؟ وهل الصـفات زائدة على الذات ؟

٢ ـ ما المراد بصفات المعانى ؟ وكم عددها ؟

٣ ـ اذكر خلاف العلماء فى صفة الادراك لله تعالى .

٤ ـ ما هى الصفات المعنوية ؟ وكم عددها ؟

٥ ـ ما معنى تعلق الصفة ؟ وكم عدد الصفات التى لها تعلق ؟

٦ ـ بم تتعلق الصفات الآتية :

العلم ـ الكلام ـ القدرة ـ الارادة ـ السمع ـ البصر ؟

٧ ـ هل لصفة الحياة تعلق ؟

٨ ـ لمـاذا لا يكون للارادة تنجيزى حادث ؟

٩ ـ اذكر أضداد الصفات الآتية :

الوجود ـ والقدم ـ والبقاء ـ والمخالفة للحوادث ـ والقيام بالنفس ـ والوحدانية ـ والقدرة ـ والارادة ـ والعلم ـ والحياة ـ والسمع ـ والبصر ـ والكلام النفسى .

١٠ ـ بين الجائز فى حق الله تعالى ، وأقم الدليل عليه .

١١ ـ ما معنى الصلاح ؟ وما رأى أهل السنة فيه ؟ وما دليلهم عليه ؟

١٢ ـ هل المسلمون سيرون الله تعالى فى الدار الأخرة ؟ وما هو الدليل ؟

١٣ ـ ما سبب تسمية المعتزلة بالمعتزلة .

١٤ ـ عرف صفة القدرة . وأقم الدليل العقلى والدليل النقلى على وجوبها لله تعالى .

١٥ ـ عرف الصفات الآتية وأقم الدليل على وجوبها لله تعالى :

الارادة ـ العلم ـ الحياة ـ السمع ـ البصر ـ الكلام النفسى .

١٦ ـ ما معنى قوله تعالى : « هل تعلم له سميا » ؟

١٧ ـ ما الفرق بين الكلام النفسى والكلام بحروف وأصوات ؟

النبـــوات

قال الناظم :

وصف جميع الرسل بالأمانة   والصدق والتبليغ والفطانة
ويستحيل ضـــدها عليهم   وجائز كالأكل فى حقهم
ارسالهم تفضـــل ورحمة   للعـــالمين • جل مولى النعمة

الشرح والبيان :

لا يقدر انسان على عمل كل شيء ينفعه بمفرده • فهو لا يقدر بمفرده على أن يزرع ويحصد ويطحن ويخبز ويبنى ويصنع ويختلف الى المشايخ لتلقى العلم • ومن أجل ذلك يحتاج الى غيره ، وغيره يحتاج اليه ، وقد نظم الله حياة الناس على التعارف والتعاون ، وذلك ليعمروا الأرض ، ويسبحوا بحمد الله عز وجل •

وخلق الله الناس ذوى ميول وغرائز شتى ، فانسان يميل الى العلم ، وانسان يميل الى السـعى فى الأرض لطلب الربح ، وانسان يميل الى الزراعة والحصاد ، وكلهم مشتركون فى غريزة الجوع والشبع • وغرائز أخرى • ذكرها الله تعالى فى قوله : « زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين ، والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة ، والخيل المسومة والأنعام والحرث » •

وبين الله تعالى فى القرآن الكريم : أنه لمـا خلق آدم عليه السلام ، آمر ملائكته بالسجود له ، سجود تكريم لا سجود عبادة • وقد امتثل الملائكة للأمر ، الا الشـيطان فانه « أبى واستكبر » وقال الله تعالى : « أنا خير منه • خلقتنى من نار وخلقته من طين » ولابائه واستكباره ،

طرده الله من رحمته . وأخرجه من جنته ، وأسكن آدم الجنة هو وزوجه ، ونهاهما عن الأكل من شجرة الخلد ، وحذرهما من الشيطان الرجيم . ولكن آدم « نسى » وخالف الأمر . وأكل من الشجرة التى نهاه الله أن يأكل منهـا . ولكنه ندم فى الحال ، وقال هو وزوجه : « ربنا ظلمنا أنفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا ، لنكونن من الخاسرين » وقد قبل الله توبتهما وقال لهما وللشيطان : « اهبطوا بعضكم لبعض عدو . ولكم فى الأرض مستقر ومتاع الى حين » .

ولأن الله قد خلق الانسان ذوى ميول وغرائز ، وقد ينسى الله ويتبع الشيطان ويعبده ، وقد يسفك الدماء فى الأرض بسبب الحسد والغضب. اقتضت حكمته تعالى رحمة بالانسان ورأفة به ، أن يرسل اليه الأنبياء من جنسه ، ليعرفوه الحق ، ولينظموا له حياته ، وليبعدوه عن وساوس الشيطان وبنيه . وقد أشار الله الى هـذا بقوله : « فاما يأتينكم منى هدى . فمن اتبع هداى . فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون . والذين كفروا وكذبوا بآياتنا ، أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون » .

وقد وفى الله بما وعد به « فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين ، وأنزل معهم الكتاب بالحق ، ليحكم بين الناس فى ما اختلفوا فيه » .

وقد ذكر الله فى القرآن أسماء خمسة وعشرين من الأنبياء والرسل . وهم : ١ ــ آدم ٢ ــ إدريس ٣ ــ نوح ٤ ــ هود ٥ ــ صالح ٦ ــ إبراهيم ٧ ــ لوط ٨ ــ إسـماعيل ٩ ــ إسحق ١٠ ــ يعقوب ١١ ــ يوسف ١٢ ــ هارون ١٣ ــ موسى ١٤ ــ أيوب ١٥ ــ شعيب ١٦ ــ داود ١٧ ــ سليمان ١٨ ــ الياس ١٩ ــ اليسع ٢٠ ــ يونس ٢١ ــ ذو الكفل ٢٢ ــ زكريا ٢٣ ــ يحيى ٢٤ ــ عيسى بن مريم ٢٥ ــ محمد ــ عليهم السـلام ــ .

وقد خاطب الله نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم بقوله : « فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل » وأولو العزم هم : ١ ــ نوح ٢ ــ إبراهيم

٣ ــ موسى ٤ ــ عيسى ٥ ــ محمد عليهم الصلاة والسلام ــ وهؤلاء الخمسة سموا بأولى العزم ، لأنهم صبروا على أذى قومهم ، وتحملوا المشاق أكثر من غيرهم .

وقد أنزل الله على بعضهم كتب شرائع وهم نوح وموسى ومحمد ــ عليهم السلام ــ وأنزل الزبور على داود عليه السلام فيه تسابيح وأدعية لله وتنبؤات تدل على مجىء محمد رحمة للعالمين ، وعلى أنه سينسخ شريعة موسى ، وعلى أن شريعته ستبقى الى يوم الدين ، وأنزل الانجيل على عيسى عليه السلام . والانجيل : هو البشرى المفرحة بخبر سار . والخبر هو مجىء محمد من بعده[1] .

والفرق بين النبى والرسول : هو أن النبى حر من بنى آدم ، أوحى الله اليه . سواء أمر بالتبليغ أو لم يؤمر به . وأن الرسول : انسان حر من بنى آدم ، أوحى الله اليه بشرع وأمر بتبليغه . وهذا التعريف بحسب مسمى الشرع . لأن الرسول فى اللغة هو المرسل من قبل غيره . فالملك اذا أرسل وزيرا برسالة الى ملك غيره ، يسمى الوزير رسولا فى اللغة ، ولا يسمى رسولا شرعا . وكلمة النبى فى اللغة معناها : المنبىء عن الله . والمنبى عن الله ، لا يكون الا نبيا صادقا . ولا تأتى كلمة النبى على المجاز كما أتت كلمة الرسول . ومن أجل ذلك قال الله عن محمد صلى الله عليه وسلم أنه « خاتم النبيين » ولم يقل خاتم المرسلين ، لأن الرسول فى غير مسمى الشرع قد يطلق على من يبلغ رسالة من ملك أو غيره الى شخص آخر . فقد وصف النبى معاذ بن جبل لما بعثه الى اليمن بأنه رسول رسول الله . وكل عالم من علماء المسلمين يبلغ رسالة الله ، فهو رسول اليهم على المعنى المجازى كمعاذ بن جبل ــ رضى الله عنه ــ .

---

(1) اقرأ الكتب الآتية : نقد التوراة أسفار موسى الخمسة ــ البشارة بنبى الاسلام فى التوراة والانجيل ــ المسيح المنتظر ــ أقانيم النصارى ــ يوحنا المعمدان بين الاسلام والنصرانية .

ومن الواجب على المسلم أن يؤمن بأنبياء الله ورسله . فقد قال تعالى : « آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون . كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله . لا نفرق بين أحد من رسله . وقالوا : سمعنا وأطعنا . غفرانك ربنا واليك المصير » .

معجزات الانبيــاء

والمعجزة وهى الأمر الخارق للعادة ، الذى يظهره الله على يد مدعى النبوة تصديقا له فى دعواه . هى التى تميز بين النبى الصادق والنبى الكاذب ، وهى التى تعرف الناس أنه آت من قبل الله . فلو قال قائل للناس أننى نبى . وسألوه : ما الذى يعرفنا أنك نبى ؟ فقال : هو أن تقترحوا على أمرا غير مألوف فى العادات وأنا أظهره لكم . فاذا اقترحوا وقالوا : نريد أن يتمخض هــذا الجبل عن ناقة . وأيده الله تعالى بأن أخرج لهم من الجبل ناقة . ففى هــذه الحالة يعرف الناس أنه نبى . لأن الجبل لا يلد الناقة . ولقد كانت الناقة معجزة لصالح عليه السلام . وكان موسى عليه السلام يلقى عصاه على الأرض فتصير ثعبانا ، أو حية . ويدخل يده فى عبه ويخرجها فاذا هى بيضاء من غير سوء ، أى برص . وكان عيسى عليه السلام يبرىء الأكمة ــ وهو المولود أعمى ــ والأبرص ، ويحيى الموتى باذن الله . ومعجزات أخر كانت له منحة من الله .

وتسمى هذه المعجزات بالمعجزات الحسية ، أى المرئية رأى العين .

ولمحمد صلى الله عليه وسلم مثلها . فقد رد عين قتادة بن النعمان ، وحن الجذع اليه واشتكت اليه الغزالة وكلمه الضب . وأسرى به ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى . وله القرآن الكريم معجزة باقية الى يوم القيامة . ووجه دلالة القرآن على صدق النبى صلى الله عليه وسلم : أن النبى صلى الله عليه وسلم كان أميا ، لا يقرأ ولا يكتب ، ولم يختلف الى معلم أو مؤدب ، ونشأ كغيره من الأميين ، يرعى الغنم فى شعاب «مكة» . وفى سن الأربعين ينطق بالقرآن الكريم البالغ الروعة

في الفصاحة والبلاغة ، والحاوى على المعانى التى لا علم له بها ، ولا علم لقومه بها كحديثه عن بعض الأولين ، والأنبياء والمرسلين : وحديثه عن نظريات علميـــة فى الكون وعجائب المخلوقات • مع أنه ما كان من الدارسين • وهـــذا يدل على أن الله تعالى هو الذى أوحى اليه هـــذا القرآن • وجعله نبيا • وجعله خاتم النبيين •

عموم رسالة محمد صلى الله عليه وسلم :

وقد أخبر القرآن عن أنبياء أرسلوا الى أقوامهم خاصـــة • كشعيب عليــه السلام الى أهل مدين • وعن أنبياء ارسلوا الى الانس والجن • كنوح وكموسى[1] ومحمد عليهم الســلام فقد قال تعــالى : « واذا صرفنــا اليــك نفــرا من الجن يســتمعون القــرآن فلمــا حضروه قالوا : أنصتوا • فلمــا قضى ، ولوا الى قومهم منــذرين • قالوا : يا قومنا انا سمعنا كتابا أنزل من بعــد موسى ، مصدقا لمــا بين يديه يهدى الى الحق والى طريق مســتقيم • يا قومنــا أجيبــوا داعى الله وآمنوا به • يغفر لكم ذنوبكم ويجركم من عذاب أليم » •

وأخبر الله تعالى • أن عيسى عليــه السلام هو آخــر أنبياء بنى اسرائيل ، وأنه كان مصدقا لمــا بين يديه من التوراة ومبشرا برسول يأتى من بعــده ، اسمه أحمد • وأن محمدا خاتم النبيين والمرســلين، ولا نبى بعــده ، وأن رسالته للانس والجن وللعرب ولســائر الأمم ، وأنها نسخت ما قبلها وستظل باقية الى يوم الدين •

والدليل العقلى على رســالة محمد صلى الله عليه وسلم : أنه أدعى

---

(١) فى كتب التفاســير : عن عطاء رضى الله عنــه أنهم كانوا على اليهودية ، وعن ابن عباس رضى الله عنهما أن الجن لم تكن سمعت بأمر عيسى عليه الســلام فلذلك قالت من بعد موسى •

الرســالة ، وأيده الله بالمعجزات تصــديقا له في دعواه • وكل من أيده بالمعجزات ، يكون رســولا صادقا • والدليــل النقلى على أن القرآن معجزته ، وأنه تحدى به الانس والجن : قوله تعالى : « وان كنتم فى ريب مما نزلنــا على عبدنا ، فأتوا بســورة من مثله ، وادعوا شهداءكم من دون الله ان كنتم صــادقين » •

والدليل النقلى على رســالته : « وما محمد الا رســول قــد خلت من قبله الرسل » أى كان قبله من المرسلين الصادقين كثير •

والدليل على عموم رسالته للانس والجن وللعرب وللأمم : قوله تعالى : « وما أرسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا » •

والدليل على أنه خاتم النبيين والمرسلين الصادقين : قوله تعالى : « ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ، ولكن رسول الله وخاتم النبيين »•

الواجب للرســل اجمالا وتفصيلا

أن يتصف كل رسول بصفات أربعة ، هى :

١ ــ الصــدق •
٢ ــ الأمانة •
٣ ــ والتبليغ •
٤ ــ والفطانة •

وهــذا على سبيل التفصيل والبيان • وأما على سبيل الاجمال ، فانه يجب لهم : كل كمال بشرى كالوفاء والاخلاص والمروءة والشجاعة وسلامة أجسادهم من العاهات ، وخلو أفعالهم عما ينفر الناس عنهم •

١ ــ الصــدق

فالصــدق : هو مطابقة الخبر للواقع ، أى اذا قال النبى قولا ، يكون صادقا فيه ، ولا يقــدر أحد أن يكذبه فيه ، لأن ما قاله هــو حقيقة مؤكدة •

ويستحيل على النبى الكذب ، لأنه لو اشتهر بالكذب ، ما صدقه أحد فى ما يحكيه ، سواء حكى عن نفسه ، أو عن الله •

والدليل العقلى على وجوب الصدق للرســل :

أن الله صــدقهم بالمعجزات ، أى أجــرى المعجزات على أيديهم لمــا طلبوها ، ولو جاز عليهم الكذب ما صدقهم الله ، وذلك لأن تصديق الكذب كذب • والكذب على الله تعالى محال •

والدليل النقلى على وجوب الصدق للرسل : قوله تعالى : « وصدق الله ورســوله » •

٢ ــ الأمانة

الأمانة : هى حفظ الله تعالى ظواهر الرســل وبواطنهم من فعل ، قد نهى عنه • فلا يفعلون محرما ، ولا يتركون مأمورا به من جهــة الشرع •

والدليل العقلى على وجوب الأمانة للرســل • أن الله تعالى كلفنــا باتباعهم • وجعلهم لنا قدوة ، لقوله : « أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده » ولو جاز عليهم الخيــانة بفعل فعلوه وقــد نهى عنه ، أو بفعل تركوه وقد أمر به ، لمــا أمرنا باتباعهم • وحيث قد أمرنا باتبــاعهم ، فانهم يكونون أمناء •

والدليل النقلى على وجوب الأمانة للرسل قوله تعالى : « انى لكم رســول أمين » •

٣ ــ التبليــغ

التبليغ هو ايصال الرســل كل الذى أمرهم الله بتبليغه للناس اليهم بغير لبس فى المعانى ولا غموض •

والدليل العقلى على وجود التبليغ : أن كتمان أى شيء قد أمروا باذاعته ، يعد خيانة وتضييعا للأمانة • ولو كانوا كذلك ، لضاعت الفائدة من ارســالهم •

والدليل النقلى على وجوب التبليغ : قوله تعالى : « يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك ، وان لم تفعل فما بلغت رسالته » •

٤ ــ الفطـانة

الفطانة هى سرعة الفهم وقوة الحجة •

والدليل العقلى على وجوب الفطانة للرســل : أن الله اصطفاهم للتوجيه والاصلاح • ولأن للمعارضين مجادلات ، لشــبه قد تعرض لهم من قبل الشيطان ، أيدهم الله بالأدلة لاثبات ما أرســلوا به ، ولابطال الشبه • وهذا لا يتأتى الا بالفطــانة والذكاء • ولو كانوا عاجزين عن الجدال الحسن ، لكان ارسالهم عبثاً • والله منزه عنه •

والدليل النقلى على وجوب الفطانة للرسل : قوله تعالى : « وجادلهم بالتى هى حسن » •

المســتحيل على رســل الله

ويستحيل على الرسل تفصيلا أضداد تلك الصفات • فيســتحيل عليهم تفصيلا : ١ ــ الكذب ٢ ــ والخيانة ٣ ــ والكتمان ٤ ــ والبلادة• ويستحيل عليهم اجمالا كل نقص بشرى يخل برسالاتهم ، أو يؤدى الى نفرة الناس عنهم • كالظلم ونقض العهد والغدر والجبن ، والعيوب الجسدية المنفرة •

والدليل العقلى على استحالة كل تلك الصفات : هو أن هــذه الصفات نقائص وعيوب ، والرسل قــدوة للناس ، فيجب أن يكونوا بعيدين عنها ، لئلا تضيع رسالتهم بسبب ما يحدث منهم ، مما يخالف أقوالهم •

والدليل النقلي على استحالة كل تلك الصفات : هو أن الله جعلهم قدوة وجعلهم أئمة فقال تعالى : « أولئك الذين هـــدى الله . فبهداهم اقتده » وقال تعـــالى : « ان ابراهيم كان أمة قانتا لله حنيفا » وقال تعالى : « يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون ؟ كبر مقتا عنـــد الله أن تقولوا ما لا تفعلون » .

الجائز على رســـل الله

اقتضت حكمة الله تعالى أن يرســـل الأنبياء من البشر ، لا من الملائكة ، لأن الجنس الى الجنس أميل . ولأنهم يكونون من البشر ، والبشر يأكلون ويشربون ويمشون في الأسواق ويزرعون ويحصدون ، ويجوز على الأنبياء والرســـل ، كل ما يجوز على سائر البشر من الحرف العالية والصناعات الشريفة ، والمرض الذي لا يعدى . فقد قال الله تعالى عن محمد صلى الله عليه وسلم : « قل : انما أنا بشر مثلكم » وأكد على بشرية نوح بقوله : « ولا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب يا قومنا انا سمعنا كتابا أنزل من بعـــد موسى ، مصدقا لمـــا بين يديه وآمنوا به . يغفر لكم ذنوبكم ويجركم من عذاب أليم » .

والدليل العقلي على جواز ظهور أعراض البشر على الأنبياء : أنهم لو كانوا من غير جنس البشر ، لخاف الناس منهم ولم يأنسوا بهم . وهذا يعوق تبليغ رسالات الله . وقد دلت المشـــاهدة أيضـــا على أن أفعالهم كأفعال البشر ، غير أنهم قد تحلوا بالفضـــائل ، وتخلصوا من الرذائل ، وأن بعضهم قتل في سبيل الله . فقد قال تعالى عن بني اسرائيل « ويقتلون النبيين بغير حق » .

والدليل النقلي على جواز ظهور أعراض البشر على الأنبياء : أن الله تعالى حكى شـــبهة الكفار على محمـــد صلى الله عليه وسلم ولم ينفها عنه . وهي : « وقالوا : مال هـــذا الرسول يأكل الطعام ويمشي

في الأســواق ؟ لولا أنزل اليه ملك فيكون معه نذيرا ، أو يلقى اليــه كنز ، أو تكون له جنة يأكل منها » .

حكم ارســال الرسل

ومذهب أهل السنة والجماعة : أن ارسال الله للرسل هو تفضل منه وليس بواجب عليه لأن الله تعالى فاعل مختار لذاته . والمختــار لذاته ليس عليه شيء .

ومذهب المعتزلة : أن ارســال الله للرسل هو واجب على الله ، لأن الله هو الذى أوجبه على نفســه فى قوله : « يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم على فترة من الرســل . أن تقولوا : ما جاءنا من بشير ولا نذير . فقد جاءكم بشير ونذير . والله على كل شيء قدير »[1] .

والصحيح : أن المختار لذاته وهو الله تعالى : « لا يسأل عما يفعل. وهم يســألون » .

---

(1) وهذا هو دليلهم على وجوب الصلاح والأصلح .

اسـئلة

١ ـ من هو العدو اللدود لبنى آدم ؟ وما سبب العداوة ؟

٢ ـ لماذا يرسل الله النبيين مبشرين ومنذرين ؟

٣ ـ ما عدد الأنبياء والرسل الذين ورد ذكرهم فى القرآن الكريم؟

٤ ـ هل الزبور كتاب أحكام تشريعية ؟ وما معنى كلمة الانجيل ؟

٥ ـ اذكر اسم آخر نبى من أنبياء بنى اسرائيل ، واذكر اسم كتابه ، وبعض معجزاته ، وهدفه من رسالته .

٦ ـ بين الفرق بين النبى والرسول .

٧ ـ عرف المعجزة . واشرح طبيعة معجزات الأنبياء السابقين على محمد صلى الله عليه وسلم .

٨ ـ ما هى معجزة محمد الكبرى ؟ وهل له معجزات حسية ؟

٩ ـ اشرح معنى عموم رسالة محمد صلى الله عليه وسلم .

١٠ ـ اذكر الدليل العقلى والنقلى على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم .

١١ ـ ما هو الدليل على أن محمدا خاتم النبيين ؟

١٢ ـ ما الواجب للرسل اجمالا ، وتفصيلا ؟

١٣ ـ ما معنى كون النبى صادقا ؟ وما الدليل العقلى والنقلى على وجوب الصدق للأنبياء والرسل ؟

١٤ ـ ما هى الأمانة الواجبة للرسل ؟ وما الدليل النقلى والعقلى على وجوبها ؟

١٥ ـ ما هو التبليغ الواجب على الرسل ؟ وما دليله ؟

١٦ ـ ما معنى الفطانة الواجبة للرسل ؟ وما الدليل على تحليهم بها؟

١٧ — ما هو المستحيل على رسل الله ؟ وما الدليل عليه ؟
١٨ — ما هو الجائز فى حق الرسل ؟ وما الدليل عليه ؟
١٩ — ما حكم ارسال الرسـل ؟

الســمعيات

قال الناظم :

ويلزم الايمان بالحسـاب والحشر والعقاب والثواب
النشر والصراط والميزان والحوض والنيران والجنان
والجن والأملاك ثم الأنبيا والحور والولدان ثم الأوليا

الشرح والبيـان :

لم يتعرض المؤلف للسؤال فى القبر ولا للعذاب ولا للنعيم فيه . واكتفى بأنه يجب على المسلم أن يؤمن بأن الله سيحيه من بعد موته ، وسيحاسبه على ما قدمت يداه من خير ، أو من شر . وربما يكون اكتفاؤه لعدم الخلاف فيه بين المسلمين ، ولأن سـؤال القبر ، ونعيمه أو عذابه، يذكره بعض المسلمين من أهل الاعتزال ، لثبوته بالأحاديث النبوية ، وبآيات من القرآن الكريم ، يجعلونها من المتشابهات .

ومذهب أهل السنة والجماعة أن المرء سوف يسأل فى القبر ، وان لم يقبر حقيقة كالحريق فى النار ، وقد أذرته الرياح ، أو كالذى أكله السـبع ، ولم يعد لجسده وجود على الأرض . وأنه بعد موته مباشرة يأتيه ملكان فظان غليظان على من عصى الله ورسـوله ، وشفوقان رحيمان على من أطاع الله ورسـوله . فيسـألانه عن ربه ودينه وعن الرجل المبعوث فيهم . فاذا قال : ربى الله ودينى الاسـلام والرجـل المبعوث فينا هو محمد صلى الله عليه وسلم ، يقولان له : انظر الى مقعدك من النار ، قد أبدلك الله به مقعدا فى الجنة . غيراهما جميعا .

واذا قال : « لا أدرى . يستهزآن به » . ويقولان له : « لا دريت ولا تليت . ثم يضربانه بمقامع من حديد .

ويستدل أهل السنة والجماعة على اثبات عذاب القبر بقوله تعالى فى حق آل فرعون : « النار يعرضون عليها غدوا وعشيا . ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب » ووجه الاستشهاد : هو أن أشد العذاب واقع لهم فى يوم القيامة ، فاذن ما دونه واقع لهم قبل يوم القيامة . وليس قبل يوم القيامة الا حياة الدنيا أو حياة القبر ، واذا ثبت أنهم لم يعذبوا فى الدنيا ، يثبت أنهم يعذبون فى القبر . ثم غيرهم تبع لهم فى العذاب . لعلة الكفر الموصلة الى النار .

وقد روى البخارى من حديث شعبة عن مسروق عن عائشة رضى الله عنها أن يهودية دخلت عليها . فقالت : نعوذ بالله من عذاب القبر . فسألت عائشة رضى الله عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عذاب القبر ، فقال صلى الله عليه وسلم : « نعم . عذاب القبر حق »(1) .

ويستدل أهل السنة على سؤال القبر بقوله تعالى : « يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ، ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء » على ما قاله بعض المفسرين فى تفسيرها . وهو أن الله يثبت المؤمن حال السؤال فى القبر .

ولا ينكر عذاب القبر من المعتزلة ، الا واحد ، ذكر اسمه مؤلف « شرح الأصول الخمسة » وقال : أن كلامه ليس بالقوى . وشبهة منكرية : هى أن السؤال والجواب واللذة والألم ، كل ذلك لا يتصور بدون حياة ، ولا حياة مع فساد الجسد . ونحن نرى الميت يبقى مدة

---

(1) توجد رواية للامام أحمد عن هاشم عن اسحق عن عائشة فى هذا الموضوع أيضا . ذكرها الامام ابن كثير فى سورة غافر — آية آل فرعون .

من غير تحرك ولا نرى عليه أثر لذة أو ألم ، وربما دفن فى لحد ضيق لا يتصور فيه أن يجلس ليسأل ، والمحروق بالنار وقد صار ترابا تذروه الرياح كيف يحاسب ؟ هذه شبهتهم العقلية . وأما شبهتهم من القرآن .

فقوله تعالى : « كل نفس ذائقة الموت ، وانما توفون أجوركم يوم القيامة » فقد أثبت التوفية فى غير القبر .

والرد عليهم : أن الله قادر على كل شىء . هذا من جهة العقل . ومن جهة النقل : فان التوفية الكاملة هى التى تكون فى يوم القيامة .

وكل ما فى القبر هو من السمعيات ، أى الأمور التى نعتقدها عن طريق السماع من الأنبياء الصادقين ، ولا نراها بالمشاهدة ، ولا يستقل العقل وحده بادراكها . لأن العقول تتفاوت فى الادراك . وهى لا تثبت الا بالكتاب والسنة الصحيحة المفسرة .

البعث والنشر

قيل : ان البعث هو احياء الله الموتى . والنشر هو اخراجهم من من القبور من بعد بعثهم . فالنشر هو الاحياء والاخراج . وقيل : ان النشر والبعث بمعنى واحد . وهو : احياء الله الموتى واخراجهم من قبورهم بعد جمع أجزائهم الأصلية . وحكم منكرهما : كافر ، يخلد فى نار جهنم .

والدليل العقلى على امكان البعث هو أن القادر على الخلق أولا قادر على الخلق ثانيا . والقادر على خلق السموات والأرض وهما أكبر من خلق الناس ، هو قادر على خلق الناس ، وأجزاء الميت قابلة للاعادة والتأليف والله عالم بها وقادر على اعادتها . واذا ثبت ذلك ، يثبت : أن البعث ممكن عقلا .

والدليل النقلى على امكان البعث هو قوله تعالى : « منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى » •

وفى الأحاديث النبوية : أن العاص بن وائل أخذ عظما من البطحاء ففته بيده •. ثم قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : أيحيى الله هذا بعدما أرم ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « نعم • ويميتك الله ، ثم يحييك ، ثم يدخلك النار »(1) •

الحشر

الحشر : هو سوق العباد بعد بعثهم الى موقف الحساب للقضاء بينهم •

ومنكر الحشر : كافر • لأن الحشر قد نص الله عليه بقوله : « يوم تشقق الأرض عنهم سراعا • ذلك حشر علينا يسير » وأحوال الناس فى الحشر مختلفة تبعا لأعمالهم • فمنهم الراكبون وهم كثير والعمل ، ومنهم الماشون على أرجلهم وهم قليلو العمل • ومنهم الماشون على وجوههم وهم الكفار • وأول من تنشق عنه الأرض ويرد المحشر ويدخل الجنة هو محمد صلى الله عليه وسلم •

الصراط

الصراط : هو جسر ممدود على ظهر جهنم ، يرده جميع الخلائق المؤمنين والكافرين وغيرهم • وقد جاء ذكره فى القرآن الكريم فى قوله تعالى : « فاستبقوا الصراط » وفى السنة فى قوله صلى الله عليه وسلم : « يضرب الصراط على ظهر جهنم • فأكون أنا وأمتى أول من يجوزه » •

---

(1) فى رواية : ان السائل هو « أبى بن خلف » وفى رواية اخرى : ان السائل هو « عبد الله بن أبى بن سلول » •
(تفسير ابن كثير ، فى سورة يس) •

وقال جماعة من أهل السنة : أن الصراط أدق من الشعرة وأحد من السيف • ولا مانع من مرور الناس عليه ، وهو على هذه الحالة ؛ لأن قدرة الله صالحة لأن تمكنهم من المرور عليه • وقال آخرون من أهل السنة : أن الصراط ليس أدق من الشعرة ولا أحد من السيف ، بل هو كناية عن شدة المشقة التى تلحق غير المؤمنين المارين عليه • وجاء فى الأحاديث النبوية : أن جبريل على أوله وميكائيل فى وسطه ، يسألان الناس عن عمرهم فيما أفنوه ، وعن شبابهم فيما أبلوه ، وعن علمهم ماذا عملوا به ، وعن مالهم من أين اكتسبوه وأين أنفقوه •

ومن الناس من يجوز على الصراط كلمح البصر ، وهم المؤمنون السابقون بالخيرات ، ومنهم من يجوزه كالبرق الخاطف ، ومنهم من يجوزه كالريح العاصف • ومنهم من لا يجوزه ويسقط فى جهنم •

البقاء فى جهنم

يبقى فى جهنم على التأبيد والدوام : الكفار والمنافقون • لقوله تعالى : « ان المنافقين فى الدرك الأسفل من النار ، ولن تجد لهم نصيرا » ولقوله تعالى : « لا يقضى عليهم فيموتوا ، ولا يخفف عنهم من عذابها • كذلك نجزى كل كفور » وأما العصاة من المسلمين ، فيقول أهل السنة : أن المسلم العاصى اذا دخل النار يعذب على مقدار ذنبه ، ثم يخرج منها الى الجنة •

اما بشفاعة واما بغير شفاعة • وأما المعتزلة فيقولون : أن الله سيضع الميزان للعبد الذى مات على غير توبة • وبحسب أعماله يدخل الجنة أو يدخل النار ، واذا دخل المسلم العاصى النار ، يخلد فيها • ولكن فى دركة أخف من دركة الكفار • ويمنعون الشفاعة ، الا فى فصل القضاء ، وزيادة الدرجات • ومعنى زيادة الدرجات : أن الأب وابنه — مثلا — اذا دخلا الجنة بأعمالهما ورضى الله عنهما • ولكن الأب استحق الدرجة الأولى بعمله ، والابن استحق الدرجة الثانية بعمله ،

فإن الله يقبل فيهما شـفاعة الشافعين ، وذلك بأن ينقل الابن مع أبيه في درجته • ودليلهم : قول الله تعالى : « ولا يشفعون الا لمن ارتضى » أي رضي عنهم بأعمالهم •

شـبهة المعتزلة في الصراط الحسي

يقول المعتزلة : أن الصراط ليس أدق من الشعرة وليس أحد من السيف بل هو كناية عن طريق الجنة ، أو طريق النار • لقوله تعالى : « اهدنا الصراط المستقيم » والمراد به : وفقنا الى الايمان • وقالوا : ان قلنا بأن الصراط أدق وأحد ، فلا يمكن العبور عليه •

ويجب على المسـلم أن يؤمن بالصراط • على أي كيفيـة كان • ومنكره على أية كيفية كان فهو كافر ، لانكاره أمرا معلوما من الدين بالضرورة • والمؤمن — على مذهب أهل السنة — هو الذي يعتقد بأن في الآخرة صراطا ، هو جسر ممدود على ظهراني جهنم •

الميزان

الميزان : هو آلة حسية ، لها لسان وكفتان • وهو ميزان واحـد لكل المسلمين ولكل الأمم • والدليل على وجـود الميزان : قوله تعالى : « ونضع الموازين القسط ليوم القيامة » وفي الأحاديث : أن رسول الله صلى الله عليـه وسلم قال : « ان الله يستخلص رجلا من أمتي على رءوس الأشـهاد يوم القيامة فينشر عليه تسعة وتسعون سجلا ، كل سجل مد البصر • ثم يقول : أتنكر من هـذا شـيئا ؟ أظلمك كتبتي الحافظون ؟ فيقول : لا • يا رب • فيقول : ألك عـذر ؟ فيقول : لا ، يا رب • فيقول : بلى • ان لك عندنا حسـنة ، وأنه لا ظلم عليك • فتخرج له بطاقة فيها : أشـهد أن لا اله الا الله ، وأن محمدا عبـده ورسوله • فيقول : أحضر وزنك • فيقول : يا رب ما هذه البطاقة مع

هـذه السجلات ؟ قال : فانك لا تظلم . قال : فتوضع السجلات فى كفة ، والبطاقة فى كفة .. الخ . الحديث[1] .

وجمهور أهل السنة على أنه ميزان واحد لكل الأعمال ولجميع الأمم . وقيل لكل شخص موازين كثيرة ، يوزن بكل واحد منها صنف من أصناف أعماله . لقوله تعالى : « فمن ثقلت موازينه . فأولئك هم المفلحون » .

وهل الذى يوزن صحف الأعمال أم نفس الأعمال ، أى تصور الحسنات بصورة حسية نورانية وتوضع فى الكفة اليمنى ، وتصور السيئات بصورة ظلمانية وتوضع فى الكفة اليسرى ؟ فجمهور أهل السنة يرون أن الموزون هو صحف الأعمال . والقليل يرى أن الموزون نفس الأعمال .

ووزن الأعمال يكون للمؤمنين وللكافرين . وقوله تعالى عن الكافرين : « فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا » معناه : وزنا نافعا . ولا يكون الوزن للأنبياء وللذين يدخلون الجنة بغير حساب وهم الصابرون .

شبهة المعتزلة فى الميزان

ينكر جمهور المعتزلة الميزان والوزن بالمعنى الحسى . أى لا ميزان له كفتان ولسان ، ولا وزن للصحف . ويقولون : ان الميزان هو كناية

---

(١) المعتزلة يقولون : أن ابا بكر رضى الله عنه لم يقبل اسلام مانعى الزكاة . وقال ان شهادة أن لا اله الا الله لا تكفى ، لقوله صلى الله عليه وسلم : « الا بحقها » فدخول الجنة عندهم بالايمان والعمل معا .

والايمان فى مسمى الشرع — اى المرادف لكلمة الاسلام — عندهم مكون من جزءين هما الايمان والعمل اى عقائد وشرائع وأعمال .

عن أن الله يعدل بين الناس • وشبهتهم : أن الأعمال أعراض • وقد انقضت • فلا يمكن اعادتها • واذا أعيدت ــ فرضا ــ فلا يمكن وزنها • وأيضا : فالوزن الحسى يكون من الذى لا يعلم مقدار الأشياء • والله عالم بالأشــياء وبمقاديرها ، فوزنها مع علمه بها يكون عبثا • والله منزه عن العبث •

والرد عليهم : هو أن الله يضع الميزان ، ليظهر للعباد ، أعمالهم ، لا ليعلمها هو نفسه • والموزون هو كتب الأعمال ، لقوله صلى الله عليه وسلم : « أن كتب الأعمال هى التى توزن » •

ويجب على المسلم : أن يعتقد أن فى الدار الآخرة وزنا وميزانا ، ســواء كان كناية عن تمام الحق والعدل ، أو كان حسيا ، وان كان الحق ــ على المذهب السنى ــ هو أن الميزان حسى ، وأن الموزون هو صحف الأعمال •

الحســـــاب

الحساب : هو توقيف الله العباد على أعمالهم ، قبل انصرافهم فى الموقف وســؤالهم عنها بكيفية يعلمها الله تعالى • ومنكره : كافر • لقوله تعالى : « فوربك لنسألنهم أجمعين ، عما كانوا يعملون » والحساب يكون بعد تطاير الصحف • وهو مختلف • فمنه العسير على الكفــار ومنه اليسير على المؤمنين •

الثــواب والعقاب

وقد كلف الله الناس بشرائعه ، ووعدهم بالجنــة اذا أطاعــوا ، وأوعدهم بالنار اذا عصوا • ومنكر ذلك كافر ، لقوله تعالى : « فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره » •

وقال أهل السنة : ان الثواب ليس بواجب على الله ، وانما هو

تفضيل وكرم ، وأن العقاب قد يكون للعاصي وقد لا يكون ، لأن الله فاعل مختار . والمختار لا يجب عليه شيء . وقال المعتزلة : يجب على الله اثابة المطيع وعقاب العاصي . لأنه عادل . وترك الثواب والعقاب ضد العدل . ولأنه هو الذي أوجبهما على نفسه في قوله تعالى : « كل امرىء بما كسب رهين » .

ومذهب أهل السنة : هو أن الله لا يجب عليه شيء أصلا ، لأن الطاعات مهما كثرت لا تفي بشكر نعمة من نعم الله على عباده .

خلود الجنة والنار

هل الجنة مخلوقة الآن ، أم سيخلقها الله في يوم القيامة ؟ وهل النار مخلوقة الآن أم سيخلقها الله في يوم القيامة ؟ . يقول أهل السنة : هما مخلوقتان الآن ، ومنكر وجودهما في الآخرة : كافر . وأنكر بعض المعتزلة وجودهما الآن ، بحجة أن المجازاة على الأعمال لن تكون الا في الدار الآخرة وفسروا « أعدت للمتقين » بقولهم : ستعد في الآخرة . وعبر بأعدت لتحقق الاعداد والايجاد .

وقال أهل السنة : أن الجنة لن تفنى ، وأن النار لن تفنى . لقوله تعالى : « لا يقضى عليهم فيموتوا ، ولا يخفف عنهم من عذابها » ولقوله صلى الله عليه وسلم : « يا أهل الجنة خلود بلا موت . ويا أهل النار خلود بلا موت » .

وذهبت الجهمية[1] الى فنائهما ، وفناء أهلهما في الآخرة بعد مدة

---

(١) هم أتباع جهم بن صفوان ، ومن مذهبه أن الله لا يعلم الأشياء قبل وقوعها لقوله « فليعلمن » ومذهبه باطل . لأن الله يعبر عن ذاته بكلام البشر ، ليقدروا على تصور ذاته . على طريق مشاكلة فكره لفكرهم . لأن عقول البشر لا تقدر على تصور الله وصفاته الا بهذه التعابير . فالمكر لله ليس كمكر البشر ، ومع ذلك نسب الى نفسه المكر . وليس هو بماكر . ليخاطبهم على قدر عقولهم . وهكذا في سائر صفات الأفعال كالغضب والاستحياء والنسيان ... الخ .

من الثواب أو العقاب . وحجتهم : أن الله عبر عن بقائهما بالمشيئة فى قوله : « خالدين فيها ما دامت السموات والأرض ، الا ما شاء ربك . ان ربك فعال لما يريد » ورد عليهم أهل السنة بأن الاستثناء عائد على العصاة من أهل التوحيد ، ممن يخرجهم الله من النار بشفاعة الشافعين من الملائكة والنبيين والمؤمنين ، حتى يشفعون فى أصحاب الكبائر ، ثم تأتى رحمة أرحم الراحمين ، فتخرج من لم يعمل خيرا قط ، وقال يوما من الدهر : لا اله الا الله . ورد عليهم جمهور المعتزلة بأن الاستثناء معناه اثبات كامل القدرة لله وحده ، ونفى الظن بوجود آلهة أخرى ، وقد تعنيهما ، لا أنهما من أجل شفاعة الشافعين . ولا يلزم من خلودهما مشاركتهما لله فى البقاء ، لأنهما من خلقه .

الملائكة

الملائكة أجسام لطيفة نورانية ، قادرة على التشكل بالأشكال الحسنة . وهم فى العالم ، والله أعلم بمساكنهم . وهم « يسبحون الليل والنهار لا يفترون » كما جاء فى القرآن الكريم . و « لا يعصون الله ما أمرهم ، ويفعلون ما يؤمرون » ولا يوصفون بذكورة ولا بأنوثة . وهم لا يأكلون ولا يشربون ومن وصفهم بالأنوثة كفر ، لمعارضة قول الله تعالى حكاية عن الكافرين : « وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا » أشهدوا خلقهم ؟ ستكتب شهادتهم ويسألون » .

ومنكر الملائكة كافر لقوله تعالى : « آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه المؤمنون . كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله » ولقوله صلى الله عليه وسلم : « الايمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله » ويجب الايمان بهم اجمالا . ويجب الايمان تفصيلا بمن ثبت تعيينه منهم . وهم: ١ — جبريل ٢ — وميكائيل ٣ — واسرافيل ٤ — وعزرائيل ٥ — ورضوان ٦ — ومالك ٧ — ومنكر ٨ — ونكير . ومنهم ثمانية يحملون عرش الله ، لقوله تعالى : « ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية » وهذا تصوير

لعظمة الله تعالى • فالله ليس محتاجا الى العرش وليس محتاجا الى الثمانية ، لأن الخالق لا يحتاج الى مخلوق • ومن العلماء من يمر على آيات الاستواء ولا يفسرها • وفى ذلك يقول صاحب جوهرة التوحيد :

وكل نص أوهم التشبيها   أوله ، أو فوض • ورم تنزيها

ومن الملائكة ملائكة موكلون بحفظ العباد ، لقوله : « له معقبات من بين يديه ومن خلفه ، يحفظونه من أمر الله » ولا يفارقون العباد ، لأنهم يكتبون أعمالهم فى الصحف • لقوله تعالى : « ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد » •

الجن والشياطين

ابليس الذى هو الشيطان « كان من الجن ، ففسق عن أمر ربه » والجن هم أجسام لطيفة نارية قادرة على التشكل بأشكال حسنة أو قبيحة • ولهم قدرة على الأفعال العجيبة والأعمال الشاقة • وقد أمرهم الله تعالى بالسجود لآدم فامتثلوا للأمر ، الا أبليس • وابليس كانت له زوجة من جنسه وتكاثر أبناؤه وبناته • وهم ما يزالون يتناسلون • ومن يمت منهم مصيره الى النار • ولا يطيعون الله أبدا ، ولن يطيعوه • ومنهم من يصرع أجساد الناس ، ومنهم من يلبس على الناس دينهم • وقد حذرنا الله منهم فى قوله تعالى : « ألم أعهد اليكم يا بنى آدم لا تعبدوا الشيطان • انه لكم عدو مبين • وأن اعبدون هذا صراط مستقيم • ولقد أضل منكم جبلا كثيرا • أفلم تكونوا تعقلون ؟ » وقال تعالى : « يا بنى آدم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة • ينزع عنهما لباسهما ، ليريهما سوءاتهما • انه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم • انا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون » وقال تعالى : « واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم • فسجدوا الا ابليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه • أفتتخذونه وذريته أولياء

من دونى • وهم لكم عدو ؟ بئس للظالمين بدلا » وقد سخر الله الشياطين لسليمان عليه السلام • فانه لما قال الله تعالى : « رب اغفر لى وهب لى ملكا • لا ينبغى لأحد من بعدى انك أنت الوهاب » •

قال الله تعالى : « فسخرنا له الريح تجرى بأمره ، رخاء حيث أصاب ، والشياطين كل بناء وغواص ، وآخرين مقرنين فى الأصفاد » وقال تعالى : « ومن الجن » أى الشياطين « من يعمل بين يديه باذن ربه • ومن يزغ منهم عن أمرنا ، نذقه من عذاب السعير » •

وأما ذرية الجن الذين سجدوا لآدم عليه السلام • فمنهم المؤمن ومنهم الكافر وهم مكلفون بالقرآن الكريم ، ومتعبدون بتلاوته • لقوله تعالى : « قل : أوحى الى : أنه استمع نفر من الجن • فقالوا : انا سمعنا قرآنا عجبا • يهدى الى الرشد • فآمنا به • ولن نشرك بربنا أحدا » وحكى الله تبرأهم من سفيههم الذى هو الشيطان • وقولهم : « وأنه كان يقول سفيهنا على شططا » وحكى الله اعترافهم بأن منهم من يؤمن ومنهم من يكفر ، فقال : « وأنا منا المسلمون ومنا القاسطون • فمن أسلم فأولئك تحروا رشدا • وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا » •

بعث الروح والجسد

وأشار الناظم بقوله : والحور والولدان • الى أن المؤمنين فى الجنة سيتنعمون بما ألفوه فى الدنيا من النعيم • ذلك لأنهم سيكونون فى الجنة بأجسادهم وأرواحهم • خلافا للكفار والمنافقين الذين سيعذبون فى النار بأجسادهم وأرواحهم • وقد رد بالحور والولدان على الفلاسفة الذين قالوا : ان الله لا يبعث الأجساد ، وانما حياة الناس فى الآخرة ستكون بالأرواح فقط ، كمن يرى فى الحلم أنه فى مكان ما ، أو قابل من الناس فلانا وفلان ، أو ضحك من شىء سره ،

أو تألم من ضرب وقع عليه • وهؤلاء الفلاسفه مخطئون • لقوله تعالى : « كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ، ليذوقوا العذاب » فتبدل الجلود يدل على أن الجسد يبعث مع الروح •

والحور : جمع حوراء • والحور : شــدة بياض العين مع شــدة سوادها • وهن نساء الجنة ووصفهن بالعين لاتساع أعينهن • والولدان : هم غلمان الدنيا وهم خدمة أهل الجنة • وقيل : انهم أولاد الكفــار الذين يموتون قبل البلوغ فانه ورد : أنهم خدمة أهل الجنة •

والدليل على أن المؤمنون سيتنعمون فى الجنة بما ألفوه فى الدنيا من النعيم هو قوله تعالى : « كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا ، قالوا : هذا الذى رزقنــا من قبل • وأتوا به متشابها » فقوله : « وأتوا به متشابها » يدل على أن « الرمان » فى الجنة ــ مثلا ــ كرمان الدنيا ، وهكذا ســائر النعم والخيرات •

أوليــاء الله

أمر الله تعالى عباده بأوامر ونهاهم عن نواهى • وحذرهم من أوامر الشيطان ونواهيه • فمن يطع الله فهو من أوليائه ، ومن يطع الشيطان فهو من أوليائه ولهم الخوف والخزى • وأوليــاء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون • والله تعالى يكرم أوليــاءه بكرامات ، تظهرهم أمام الناس بأنهم كرام بررة • فمن يقع فى شــدة ، يخلصه • ومن يحتاج اليه يعينه ، ومن يفترى الأشرار عليه ، يظهر صــدقه ويكبت أعداءه • كما افترت امرأة العزيز على يوسف عليه السلام وأظهر الله صــدقه • وكما احتاجت مريم رضى الله عنها الى الغذاء ، فأعطاها رطبا جنيا •

وحكى الامام الدردير فى شرح الخريدة : أنه دخل فى أهل الله من ليس منهم وأوهموا الناس بأنهم « أرباب أحوال » وهم ليسوا من أرباب الأحوال • كما قال السيد البكرى عنهم :

وقد نمــا فى ذا الزمــان شرهم　　حتى ســما فى الناس جداً ضرهم

ثم نصح المريد بقوله : وقل الحمد لله الذى هدانا لهذا ، وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله ، ثم خــذ فى الجد والابتهال ، وجد بنفسك لا بالمــال كما قال :

فنافس ببذل النفس فيها أخا الهوى　　فاذا قبلتها منك ، يا حبذا البذل
ومن لم يجد فى حب « نعمى » بنفسه　　ولو جاد بالدنيا ، اليه انتهى البخل

« تم الكتاب بعون الملك الوهاب »

صححه وراجعه

محمد حجازى احمد السقا

أســئلة

١ — اذكر دليلا لأهل السنة على اثبات السؤال فى القبر من القرآن والسنة .

٢ — اذكر شبهة المعتزلة فى نفى السؤال والعذاب أو النعيم فى القبر . وبين دليلهم العقلى والنقلى . ثم رد عليهم .

٣ — ما هو البعث ؟ وما هو النشر ؟ وما الدليل العقلى والنقلى على امكان البعث من الأموات ؟

٤ — ما هو الحشر ؟ وما حكم منكره ؟ وما الدليل عليه ؟

٥ — ما هو الصراط ؟ وما الدليل عليه ؟ وما مراتب الناس فى المرور عليه ؟

٦ — بين رأى أهل السنة فى بقاء الجنة والنار . واذكر دليلهم ؟ ورد على مخالفيهم فى الرأى .

٧ — ما معنى الميزان ؟ وما الدليل عليه ؟ وهل الموزون صحف الأعمال أم نفس الأعمال ؟

٨ — اذكر رأى المعتزلة فى الصراط وفى الميزان .

٩ — ما هو الحساب ؟ وما هو الدليل عليه ؟

١٠ — اذكر الفرق بين (أ) الوعد (ب) والوعيد .

١١ — من هم الملائكة ؟ وما الدليل على وجودهم ؟ وما هى وظائفهم ؟ وما حكم من ينكر الملائكة ؟

١٢ — اشرح معنى قوله تعالى : « ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية » .

١٣ — ما الفرق بين الجن والشياطين ؟ وما هو الدليل على وجودهم .

١٤ — ما معنى الحور والولدان ؟

١٥ — من هم أولياء الله ؟ ومن هم أولياء الشيطان ؟

رقم الإيداع ٨٨٧٤